مرثية لشعب معذب

أبكيك ،
شعبي المعذب ،
أبكيك ، ما بين دمعي ودمعك بحران ،
ما بين عذابنا قطبان ،
خط عرض بؤسنا عرضان ،
أقول ، امسحي له أقدام الجبال يا شطآن ،
أحصي للخلق كم أطلق في أرضه ألقا ، كم خيّم في سمائه جان !،
نجمه دمعٌ ، لونه غسقٌ ،
مرّت به ملاحمُ ساقت لحنَ الزمان ،
من موته عاش الحياة ،
كان حياً في الممات !.
ابكيه ،
يا شطآن !..

ابكيه يا نجوم ،
طهّري رجس قومٍ بالصلاة ،
سيطوي ما بيننا الفناءُ ، فاذكري ، جئنا على أعتابك أشلاء !،
وأنت الصارية ،
إذما صدحنا في فضاء !،
وطيّرنا الطيور ، قدّمنا الأضاحي ، والدعاء ،
قرأنا القرآن والإنجيل والزبور ، نفخنا في بوق داوود أنفاس النقاء ،
فابك يا شجر ، يا براعم الغصن ، على ربيع الدماء ،
قصّي حكاية شعب ذاق ذلّاً فأعلى الإباء .
جسّي يداً دفينة في عزاء ،
واسمعي النبض الرطيب ،
امسحي هامةً طلقاء ،
قولي ، من حاجبيك انطلقت طيورُ ،
من عينيك تعالى ألق مطيرُ
فضاءَ الضياءْ ،
صار دمعاً ، فكنا الجواري ،
وغنّى شعبٌ أميرُ !.

ابكينا ،
نحن الشعبُ المعذبُ ،
كم شحّ في أرضنا حبٌ ، واقتلعنا القلب غيماً في سماءْ !،
تركنا للضياع حجر الأثافي ،
نجرّ ظلاً في عراءْ ،
ناء لنا خلاّن ، أخذنا لهم ذكرى ،
وهاك اسمعي يا أرضُ ، الذئب يعوي وراء ،
يسطو على وطنٍ ،
يجري الدماء ،
غازليه ، اركمي على رأسه الغار ، قدّمي مصباح علاء ،
وانتظري تري سحراً ،
لا تسجدي لوهمٍ ،
هذا محض صدفة ، هزّجي ، ارقصي ، جاذبيه الرّياء ،
سيطلع لك ربٌّ خواء ،
له نيوب الجوع ، وعين عماء ،
اسلخي له جلد النساء ، عطري البحر ، اجتثّي الهواء ،
تهبّ ريحُ سيبيريا ،
حيث وحشٌ كبيرُ ،
والغابُ وكرٌ وثيرُ ،
خامل في السأمِ ، يلقي لقرصانِ البحر النداء ،
صبي على قدميه الدعاء ،
هلّلي ..
أفسحي الدرب ،
زيّني عيون المها كحلاً ، لوني شجر الرصيف ،
سيعبر موكب الرياء ،
وترين مختالاً في كبرياء ،
هو القاتل الوحش نبت في جلده الفراء ،
تدحرجت على قدميه زجاجة فودكا ، سال على شفتيه خيط الدماء ،
يئن في منحاره انتشاء ،
تدب أصابع رجليه في طيف الهواءْ .
كي يمسح شعر دبٍّ مدلّلٍ ،
فرق له الشعر ،
فاقعُ لونُه ، في نظرةٍ بلهاءْ ،

نحن الشعب المعذب من رب روسيا ،
وملاك العهر في طهران ،
ومخالب الشيطان ،
قسنا درب آلامنا من أدنى أرضٍ إلى أقصى سماء ،
ساديون عن جنبنا ، من خلفنا هُراء ،
فأين المفر ؟!..
يا الله ؟!..
من نارٍ إلى رمضاءْ ؟!،
هل من شعب ذاق مثلنا الصبر ؟!.
هل من وطن حمل هذا العناء ؟!.

ألقينا على موسكو سؤالاً ،
وعلى طهران ،
وبكين ،
والسماء ،
هل عانوا مثلما عانى لنا أطفال وثكلتْ نساء ؟!.
لماذا أعطوا القاتل آلة قتل ؟!.
لمَ ألقوا شرفاً في هباء ؟!،
فما يحسبوننا ؟!،
صخرة ؟!،
لا دم فينا ، لا قلب ، لا إباء ؟!..
سنريهم ،
إذا ما استفحل الخطرْ ،
ونرقد دهراً تحت الكوابيس نحلمُ في ضوء القمر !،
حتى يدركوا ما نحن البشر !،
وما عقبى ، إذا ما افترست لحمنا ذئاب ،
واستشرى بطرْ !..

كتبنا على صخر الجبال ، ورمل الصحارى ، يا أوفياء ،
طبعنا على قلبهم قبلةً ،
رسمنا ورداً في رداء ،
صدحنا الأغاني ،
نشرنا عطراً في هواء ،
ندفع لهم خيلاً أزجاها حُدَاءْ .

ليفهم المارق تاريخاً ،
كم ركم الطغاة في متاحف الأحياء ،
كي نرنو لها شزراً ،
ونأخذ الدرس ،
تلك الشعوب التي انحنت تقول ، احذروا الرياء ،
انهضوا ..
دقّوا جدار الشمس ،
خذوا البحر ، انظروا الموج عاشقاً ألق الفضاء ،
اصرخوا في أعلى سماء ،
نحن الوطن العظيم ،
شعبُ العذابِ ،
يا سماءْ !..